

نفحات القرآن

[345] فيقولُ في البداية: (إِنَّ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِيَتَرَكَّبُوا مِنْهَا) (ومِنْهَا تَأْكُلُونَ). ثم أشار إلى الفوائد المختلفة، كاللبن والصوف والجلد والمواد الطبية وامثال ذلك، فيقول إجمالاً: (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ). (1) ويقول في المرحلة الأخيرة (وَلِيَتَدَبَّلُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِهِمْ). انَّ ذكرَ هذا المعنى على هيئة منفعة مستقلة، مع انَّ مسألة الركوب قد ذكرت سابقاً، يُمكن أن يكون المقصود منه حمل ونقل الامتعة وضروريات الحياة (2)، أو لاغراض التنزُّه والسياحة والمسابقات أو كسب القوة في ساحة الجهاد، أو الصراع مع بعض الحيوانات الوحشية، أو عبور الانهار عن طريق سباحة الحيوانات، لأنَّها جميعاً تندرجُ في لفظ (حاجة) الشامل، وهذه الضروريات لا شأنَ لها مع مسألة الركوب في الأسفار. ويقول في الفائدة الخامسة والأخيرة (وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ). ولتعبير (حَمَلٌ) مفهوم غير "الركوب" ويبدو انَّ المقصود منه هو المحامل والهواذج التي توضعُ على ظهور الأنعام ويجلس فيها النساء والاطفال الذين لا طاقة لهم على الركوب، كما يستفاد منها للمرضى والعَجَزَة والضعفاء. انَّ ذكرَ (تُحْمَلُونَ) بصيغة "الفعل المجهول"، وجعلها إلى جانبِ الْفُلْكِ حيث يوضحُ تشابههما مع بعضهما (الفلك في البحر والأنعام على الأرض) يعتبر من القرائن أيضاً على التفسير اعلاه، وبهذا يتضح اختلاف هذه العبارات الثلاث (لِيَتَرَكَّبُوا - وَلِيَتَدَبَّلُوا - وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ)، وطالما وقع بعضُ المفسِّرين في معضلات تفسيرها، وقد فسَّروها بمعنىً واحداً ومع انَّ بعضهم يعتقد انَّ الأنعام في هذه الآية تعني الابل فقط، ولكن نظراً لسعة مفهوم (الأنعام) وعدم وجود قيد في الآية فلا دليل لحصرها، لا سيما انَّ (1) ذكرت منافع بصيغة النكرة كي تُبرهن على اهميتها.

(2) كما تمت الإشارة إلى ذلك في الآية 6 من سورة النحل.